

الباب الأول:

-السداسي الثاني:

-المقياس : اللسانيات (العرفنية.)

-الفئة المستهدفة : طلبة السنة الأولى ماستر لسانيات عامة.

-الأستاذ : د ، صالح غيلوس.

-الدرس السادس: نظرية الأفضية الذهنية .

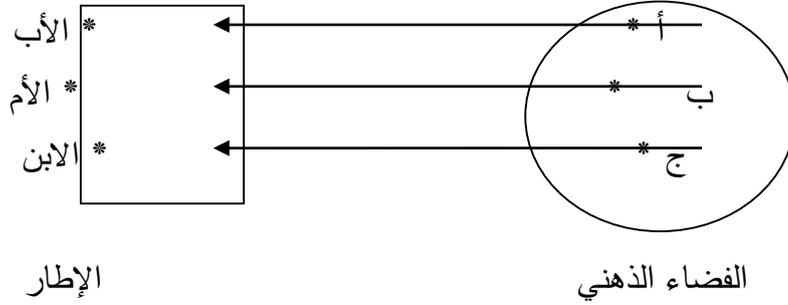
تعريفها:

الأفضية الذهنية هي رزم تصويرية صغيرة تنشأ حين نتكلم أو نفكر، من أجل فهم وعمل محلين (مخصوصين) فهي تجمعات شديدة الجزئية تضم عناصر تُبَيِّنُهَا أطر ومناويل عرفنية، وهي مترابطة، ويمكنها أن تتغير كلما انفتح الخطاب والفكر . فتتكاثر في انفتاح الخطاب، ويسقط بعضها على بعض بطرق متداخلة، وتزوّد ببنية ذهنية مجردة لنقل وجهة النظر والبؤرة، لتتيح لنا أن نوجه تركيزنا في أي وقت على أبنية شديدة الجزئية والبساطة، بينما نحفظ بشبكة متبلورة من الترابطات في ذاكرة العمل، وفي الذاكرة الطويلة المدى.

ونظرية الأفضية الذهنية هي منوال في العلاقة بين الدلالة والعرفنة ينطلق من تفسير الظواهر المتواترة، سعياً إلى إقامة نظرية أوسع في علاقة اللغة بالعرفنة يكون فيها الكشف عن الاتصال ما بين النحو والتجربة في جميع المستويات وما يكون به بناء الواقع والتجربة ، فيبني المتكلم عباراته اللغوية بناء على الواقع والتجربة، أو ما يمكن أن يكون، أو اعتماداً على الخيال...

ومن منطلقات فوكونيائي التي أقام عليها فكره "أنا نستعمل اللغة للحديث عن الأشياء الموجودة كما هي في حال الكون والتجربة، وما يمكن أن يوجد، وما سيوجد، وما نعتقد أو نتصور وجوده، وما نتمناه أو نفترضه كأننا وما نراه رؤية العيان وما به نُقنع وما نتخيله في القصص والروايات وما كان وما كان من المفروض أن يكون وغير ذلك.

- الأطر: تعرف الأطر بكونها تمثلات أو تصورات منظمة لوجوه اشتغال الكون، وهذه الأطر تمكننا من استعمال كل ما يتوفر من معطيات وإجراءات في وجوه عديدة ممكنة تضمن التفاهم على أساس واضح غير مكلف؛ حيث تحيل الوحدة الجارية على معناها وتفهم دون عناء ما كان الإطار الذي تدخل في تكوينه ماثلاً في ذهن. وهكذا يمكن اعتبار الإطار هو ما تثيره الوحدة المعجمية من تمثلات وتصورات تدور في نفس الحقل الدلالي.



ذلك أنّ دور الأبوة والبنوة لا يتصوّر إلا في إطار الأسرة.

-**الروابط:** تتربط عناصر الأفضية الذهنية بروابط؛ حيث تقوم هذه الأخيرة بالربط بين الفضائين الذهني الافتراضي والفضاء الواقعي من غير أن تفيد هذه الروابط أنّ عناصر الفضاء الافتراضي والفضاء الواقعي لهما السمات والخصائص نفسها، وعادةً "يتحقق الترابط في أداة أو قرينة ظاهرة" ولأنّ البنية اللغوية تعكس وبكل دقة مظاهر العرفنة البشرية، وما يساعد على ذلك هي التجربة؛ فتكون لنا القدرة على تسمية الأشياء، والاهتداء إلى المقصود منها بالاعتماد على الترابطات العرفنيّة. وهذا ما سيوضحه المثال التالي في قول أحدهم .

- **الفضاء الذهني:** هو جملة المعلومات المنظمة المتعلقة بالمعتقدات والأشياء، ويتكون من عناصر وليس من الضروريّ أن تكون لتلك العناصر مراجع (في المعنى السوسيري) وقد يحدث أن يطابق فضاء ذهني حالاً من حال الأشياء في الكون (مطابقة كلية أو جزئية) فيكون التطابق بين عنصر من عناصره وشيء من الواقع، ويكون التطابق بين خصائص ذلك العنصر وخصائص الشيء الواقعي. ويمكن أن يمثل الفضاء الذهني عالماً متخيلاً منبنيًا بوجه من الوجوه فليس من الضروريّ أن يكون خاضعاً للتقييم العقليّ المنطقي فيعتبر مستقيماً أو غير منطقيّ.

أنواع الفضاء الذهني: في هذا السياق يمكن الإشارة إلى أن الفضاء قد يكون

1- **الفضاء الأساس:** وهو الذي يعبر عن عالم الواقع؛ أي حالة الموضوع الذي يجري الحديث عنه

كما في الواقع.

2- **الفضاء الابن:** وهو فضاء يتم الاهتداء إليه من خلال تطابقه مع نظيره الفضاء الأساس.

والمثال التالي سيوضح نوعي الفضاء الذهني ففي قولنا: (في الصورة تبدو خولة أجمل.) هنا الفضاء الأساس يتمثل في ما نفهمه من خلال الجملة أي ملامح خولة في الواقع، أما الفضاء الابن فتمثله عبارة (في الصورة) أين تبدو ملامح خولة أجمل.

بناءة الأفضية: هي آليات تتباين في الخطاب فقد تكون (مركبات أو وحدات نحوية) كلها تعمل مجتمعة على بناء الخطاب وهنا يمكن الإشارة إلى أن فوكونيائي اعتبر أنّ "العبارة اللغوية ليس لها معنى في ذاتها؛ بل لها معنى ممكن، وإنه فقط في الخطاب التام وفي السياق ينتج المعنى فعليا.

ومن بناءة الأفضية الذهنية ما يعتبر أطرا لحدث القول أو الكتابة، وهي عبارات تبنى عند السامع، بفعل التعود، تطلعا إلى نوع مخصوص من الإطار تجري فيه الأحداث وتتموضع فيه الأشياء. ومن ذلك وعلى سبيل الذكر ما يكون في الخرافات، والنوادر، والمقامات... إلخ وأيضا من الأدوات بناءة الأفضية البسمة وما إليها من فواتح الخطب وأسماء الإشارة إلى المكان من قبيل "هنا لندن" ومنها يحدثكم فلان. في المراسلات الإعلامية، وفي "كان يا مكان في قديم الزمان" أو "يحكى أنّ" أو "زعموا أنّ".

-شبكات الأفضية الذهنية:

جاء فيما سبق وأثناء التعريف بالفضاء الذهني، أنّ الفضاء الذهني عند إنبنائه يرتبط بغيره من الأفضية الذهنية في الخطاب سواء كانت هذه الأفضية سابقة له أو لاحقة إليه، ويكون قوام هذا الترابط خاصية التبعية، فتنشأ في الخطاب شبكة مرتبة ترتيبا جزئيا. وفي أثناء إنبناء الخطاب يكون أحد الأفضية أساسا للنظام (نظام الأفضية) وأحد الأفضية (يكون في البؤرة، وهذا الفضاء الذي يكون في البؤرة) قد يكون الفضاء الأساس) والبناء في المرحلة اللاحقة ينتسب إلى الفضاء الأساس أو إلى الفضاء البؤرة. وما وضحه فوكونيائي في هذه النقطة أنّ وجهة نظر المشاركين في الخطاب تنتقل في شبكة الأفضية من فضاء إلى فضاء لاحق، مع محافظة الفضاء الأساس على قابلية الاهتداء إليه باعتباره نقطة انطلاق ممكنة إلى بناء آخر.

ثانيا - نظرية المزج و تطبيقاتها:

نظرية المزج واحدة من النظريات العرفنية التي تبحث في قضايا المعنى وهي وثيقة الصلة بنظرية الأفضية الذهنية ونظرية الاستعارة التصويرية، وقد عرفت بمسميات مختلفة على غرار: المزج، المزج المفهومي، أو الإدماج المفهومي.

- مراحل نشأة المزج التصوري: مرّ العمل على نظرية المزج التصوري بالمراحل التالية.

- **بداية المزج التصوري:** كانت هذه المرحلة بداية التسعينيات؛ حيث شرع كل من فوكونياي وتورنر* ببحث نظريّ واختباري في المزج التصورية وبذلك اعتمدا على ما قدمته نظرية الأفضية الذهنية ونظرية الاستعارة التصورية بمعطياتهما الما قبل عصبية؛ حيث قامتا على استعمال الترابطات التصورية، دون الاعتماد على الأساس العصبي، وفي هذه المرحلة أدخل فوكونياي وتورنر مفهوم المستوى الجامع.

وفي هذه المرحلة قامت نظرية المزج التصوري على عدّة أفضية ذهنية وترابطات بينها؛ حيث يكون هناك فضاء جامع وأفضية دخل وفضاء مزيج، مع وجود ترابطات بين الأفضية المدخلات والفضاء المزيج، وكما سبق الذكر فإنّ ما ميز هذه المرحلة هو اعتبار الترابطات تصورية خالصة، من غير مكون عصبي، إلا ما كان فكرة معقولة مفادها أنّ ترابطات الأفضية تجسدها ترابطات عصبية. وفي هذه المرحلة أيضا اعتبرت الاستعارات التصورية ترابطات بين فضاء دخل وفضاء آخر، ونُظر إلى الترابطات من منظور المزج باعتبارها تعميمات على ترابطات الأفضية الذهنية والترابطات الاستعارية والترابطات التي تكوّنها المزج.

1. التوسع في نظرية المزج: في هذه المرحلة أخذت نظرية المزج في التوسع في مجالات عدة؛ حيث قام عدد كبير من الباحثين والدارسين بالعمل عليها وكان ذلك خلال السبعينيات أيضا؛ فبيّن نيلي مندلبليت دور المزج في النحو والصرف، ودرست سينا كولسون المزج المتعددة العاملة في الاستعارة واللاواقعات ووضعت تقنيات Event-Related Potentials (الجهود المرتبطة بالحدث) وهي تقنية من تقنيات تصوير الدماغ واسعة الانتشار في علم الأعصاب العرفنيّ الحديث، تستعمل لتبيين الكيفية التي يخزن بها الدماغ فهم اللغة. وعملت سينا كولسون بهذه التقنية لتأكيد الحقيقة النفسانية للمتصورات النظرية. وحللت سويتسر دور المزج والاستعارة في الطقوس الاجتماعية وبناء المعنى غير التآلفي. كما قدم أوبن هوتشينس نظرية المراسي المادية، والتي بين من خلالها دور المزج في الثقافة المادية.

أ- أنواع المزج المفهومي:

قدم العالم اللغوي مارك تورنر أنواعا للمزج المفهومي معتبرا المزج شبكات فكان بذلك أن اقترح الأنواع التالية:

- **المزج المفهومي (الشبكات المرآة):** على اعتبار أنّ هذا النوع من المزج هو ابسط أنواع المزج؛ حيث تشترك جميع الأفضية المشكلة للمزج في الإطار المفهومي نفسه ومن الأمثلة التي قدمها

تورنر، وفوكونياي في كتابهما (في ما به نفكر) "لغز الراهب البوذي" هذا اللغز الذي استخدم في علم النفس كتمرين في الذكاء وقد استخدمه كارل دانكر ونقله عنه أرثير كوسلر وبالطريقة التي قدمه تورنر، وفوكونياي هو محاولة لحل اللغز أكثر من محاولة تقديم وشرح لهذا اللغز.

- **مزج الشبكة المفردة:** في هذا النوع من المزج هناك فضاء دخل واحد في إطار مفهومي قائم على أساس انطباقه على مجال مفهومي من نوع مخصوص، ويوجد في الدخل الآخر عناصر ملائمة لذلك المجال المفهومي. ومثال ذلك عبارة (الخوف أبو القسوة) ففي هذه العبارة لا وجود لناس معيّنين على الاطلاق، فالناس معنيون هنا لأنّ الناس هم من يخاف ومن يكون قاسيا ولكن (الخوف) ورد في دور (الأب) والقسوة في دور (الابن).

- **المزج الدوامية:** هذا النوع من المزج ينشأ عندما يكون للأفضية الدخل أطر تضيد تتصادم في بنية مركزية- السببية، بنية المشاركين، الوجهة، الاحتمال...وما إلى ذلك. وعلى الرغم من وجود التصادم بين الأفضية الدخل إلا أنّ ذلك لا يمنع قيام المزج، خاصة وأنّ المزج بين أفضية متصادمة مركزيا هو ما يختص فيه بنو البشر، وبالتالي فإنّ هذا التصادم يهيئنا لنستخدم ما لنا من قدرة متقدمة على المزج المفهومي.

- **المزج المجسدن:**

من خلال المصطلح يتبين أنّ المزج ومن حيث هو آلية عرفيّة يعتمد على الجسد وتفاعله مع محيطه، وفي هذا النوع من المزج نقف أمام مزج غير لغوي قوامه وضعيات مادية متنوعة يكون فيها ناتج المزج حركة أو هيئة ومن أمثلة ذلك ما يشير إليه فوكونياي في حالة وجود مدرب يعلم شخصا التزلج على الجليد؛ فيكون تركيز المدرب على تلقين الشخص المتعلم جملة من الهيئات يقتضيها عما التزلج تكون للجسم كاملا وللذراعين وللعينين، مع مراعاة التضاريس، وخاصة عند الانحدار، وما يستدعيه هذا الوضع (الانحدار) من آليات لابد أن يتقنها المتزلج، وهذا يعد الفضاء الذهني الدخل الأول، وفي مقابل هذا الفضاء الأول قد يعتمد المدرب إلى أن يطلب من المتزلج أن يتمثل ويستحضر هيئة النادل في المطعم أو المقهى وهو يحمل الأطباق بما عليها من أكواب مليئة أو فارغة، ويجول بها بين الموائد دون أن يريق أو يسقط منها شيئا، وهذا يمثل الفضاء الذهني الدخل الثاني. أما الفضاء المزيج فهو ما يتولد من مزج الفضائين الدخلين في ذهن المتدرب فتكون له هيئة وحركات قريبة من المطلوب أثناء الانحدار.